نفعها دائمة غير ممنوعة وثمرته زائدة غير مقطوعة الا اذا ابدل المسافر فترة في سفره
ووقفة في حركته فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا زاغوا ازاغ الله قلوبهم
وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون انفسهم ومن لم يوهل للجولان في هذا الميدان والتطواف
في متنزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة
مغتنما بها تجارة الدنيا او ذخيرة للاخرة فان كان مطلبه العلم والدين او الكفاية للاستعانة
على الدين كان من سالكي سبيل الاخرة وكان له في سفره شروط واداب ان اهملها كان
من عمال الدنيا واتباع الشيطان وان واظب عليها لم يخل سفره عن فوايد تلحقه
باعمال الاخرة ونحن نذكر ادابه وشروطه في بابين ان شا الله تعالى

الباب الاول في الاداب من اول النهوض الى اخر الرجوع وفي نية السفر وفايدته وفيه فصلان

الفصل الاول في فوايد السفر وفضله ونيته

اعلم ان السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوايد وله افات كما ذكرناه في
كتاب اداب الصحبة والعزلة والفوايد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب او طلب فان المسافر
اما ان يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر اليه واما ان يكون له مقصد
ومطلب والمهروب عنه اما امر به نكاية في الامور الدنيوية كالطاعون والوبا اذا ظهر
ببلد او خوف سببه فتنة او خصومة او غلا سعر وهو اما عام كما ذكرناه او خاص
كمن يقصد باذية في بلدة فيهرب منها واما امر له نكاية في الدين كمن ابتلي في بلده بجاه ومال
واتساع اسباب تصده عن التجرد لله عز وجل فيوثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه
او كمن يدعى الى بدعة قهرا او الى ولاية عمل لا تحل مباشرته فيطلب الفرار منه واما المطلوب
فهو اما دنياوي كالمال والجاه او ديني والديني اما علم او عمل والعلم اما من العلوم
الدينية واما علم باخلاقه وصفاته على سبيل التجربة واما علم بايات الارض وعجايبها
كسفر ذي القرنين وطوافه في نواحي الارض والعمل اما عبادة واما زيارة والعبادة
هو الحج والعمرة والجهاد والزيارة ايضا من القربات وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة
وبيت المقدس والثغور فان الرباط بها قربة وقد يقصد بها الاوليا والعلما وهم اما موتى
فتزار قبورهم واما احيا فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر الى احوالهم قوة الرغبة
في الاقتدا بهم فهذه هي اقسام الاسفار ويخرج من هذا القسمة اقسام

القسم الاول

السفر

١٠٩

السفر في طلب العلم وهو اما واجب واما نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا او نفلا وذلك العلم
اما علم بامور دينه واما باخلاقه في نفسه او بايات الله في ارضه وقد قال صلى الله عليه وسلم
من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله عز وجل حتى يرجع وفي خبر اخر من سلك طريقا
يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وكان سعيد بن المسيب يسافر الايام في طلب
الحديث الواحد وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام الى اقصى اليمن في كلمة تدله على هدى
ما كان سفره ضايعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة الى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث
بلغهم عن عبد الله بن انيس الانصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعوه
وقل مذكور في العلم محصل في زمان الصحابة الى زماننا الا وحصل العلم بالسفر وسافر لاجله
واما علمه بنفسه واخلاقه فذلك ايضا مهم فان طريق الاخرة لا يمكن سلوكه الا بتحسين
الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على اسرار باطنه وخبايث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وانما
السفر هو الذي يسفر عن الاخلاق وبه يخرج الله تعالى الخبء في السموات والارض وانما
سمي السفر سفرا لانه يسفر عن الاخلاق ولذلك قال عمر للذي كان يعرف عنده بعض الشهود
هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال ما اراك تعرفه
وكان بشر يقول يا معشر القرا سيحوا تطيبوا فان الما اذا كثر في موضع تغير
وبالجملة فالنفس في الوطن مع مواتاة الاسباب لا تظهر خبايث اخلاقها لاستيناسها
بما يوافق طبعها من المالوفات المعهودة فاذا حملت وعثا السفر وصرفت عن مالوفاتها
المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت غوايلها ووقع الوقوف على عيوبها
فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد ذكرنا في كتاب العزلة فوايد المخالطة والسفر
مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق واما ايات الله في ارضه ففي
مشاهدتها فوايد للمستبصر ففيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبراري
والبحار وانواع الحيوان والنبات وما من شي منها الا وهو شاهد لله بالوحدانية
ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه الا من القى السمع وهو شهيد واما الجاحدون والغافلون
والمغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يبصرون ولا يسمعون لانهم
عن السمع معزولون وعن ايات ربهم لمحجوبون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن
الاخرة غافلون وما اريد بالسمع السمع الظاهر فان الذين اريدوا به ما كانوا معزولين عنه

Copyright © King Saud University